أن الناس كلهم لا يعلمون، بل قد يعلم ويطلع عليه من هو بجواره دون غيرهم، والإنسان
لا يمكنه نفي الشيء إلا بدليل بيّن. ومنها: أن خروج المقصود خروجهم ونفوذهم إلى
الناس سواء شاهد الناس ذلك الردم مفتوحاً أم لا، فإذا برزوا منه ورآهم خارجين
علم أن السد قد اندك لأنه من لوازم خروجهم انفتاحه. ومنها: أن كثيراً من الناس يظنون أن
السد الذي بين الناس وبين يأجوج ومأجوج ذلك الردم المعين الذي بناه ذو القرنين
الصغير جداً بالنسبة إلى السد، ويظنون أنه هو حاصل السد، وهذا مخالف لظاهر
القرآن وصريحه، فإن القرآن صرح بأن السدين موجودان قبل ذي القرنين بأزمان طويلة
وهي سلاسل الجبال وما وراءها من البحار، ولكن فيما بين تلك الجبال "فجوة" وهي
"الريع" من الجبلين يخلصون منها على من جاورهم فشكوا لذي القرنين فبناه كما
تقدم، فالذي بناه ذو القرنين من السد ثلمة صغيرة جداً بالنسبة إلى الحواجز التي
تحول بينهم وبين النفوذ إلى الناس في ذلك الزمان وما بعده بأزمان متطاولة، والآن
قد شاهد الناس خروجهم من وراء الجبال والبحار بل فوقه الجو، ففهم بذلك أن وعد الله حق.
ومنها: أنه صرح في هذا الحديث أن انفتاح السد قد ابتدئ في زمان النبي ﷺ حيث
قال: "فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه" الحديث، وسواء كان معنى الحديث أنه
انفتح من ذلك الردم الذي ردم ذو القرنين هذا المقدار، أو أن المراد وهو الظاهر
أنهم من ذلك الوقت وهم يحاولون النفوذ إلى الناس ويعملون الأسباب، وذلك حين بلغهم
مخرج النبي صلى الله عليه وسلم وسعيه في فتح البلاد وأنهم عازمون على مقاومته ومقاومة أمته،
وما زال أمرهم يقوى وحركتهم وإراداتهم تزداد حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه اليوم من
النفوذ من كل جانب "وهم من كل حدب ينسلون". فإن قلت: قد ورد في صحيح مسلم من حديث
النواس بن سمعان: أن يأجوج ومأجوج يقولون: قد قهرنا أهل الأرض فهلم نقهر
أهل السماء فيرمون نشابهم فتعود عليهم مخضوبة دماً، وأن أولهم يمرون ببحيرة "طبرية"

فيشربون ماءها ويمر آخرهم فيقولون: قد كان ههنا ماء، وأنه بعد ما يقتل عيسى ابن مريم
المسيح "الدجال" وأتباعه من اليهود يقول الله: قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد
بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور، فيخرج الله يأجوج ومأجوج، فظاهره أن خروجهم بعد
نزول عيسى ابن مريم. فالجواب من وجوه: **أحدها**: أن هذا الحديث في "مسلم" وحده
والآيات القرآنية والأحاديث الثابتة في الصحيحين صريحة لما تقدم في أنهم هؤلاء
الأمم الذين ذكرنا، وهذا الحديث لا يقاومها إذا فرضنا المعارضة، مع أنه ولله الحمد لا
يخالفها، ولهذا نقول:

الوجه الثاني: أن النبي ﷺ إنما يذكر الناس بما كانوا يعرفونه، فذكر أنهم يرمون نشابهم
إلى السماء، ومعلوم أن سلاح النشاب وما أشبهه قد نسخ وارتقت صناعة الأسلحة
ارتقاء هائلاً، وكل زمان يأتي يكون أعظم من غيره صناعات واختراعات، فعلم أن
المراد بذلك بيان كثرتهم وقوتهم الهائلة وقهرهم للناس وأنهم يحاولون الصعود
إلى السماء والاطلاع على الأحوال الفلكية والوصول إلى معرفتها بالرصد والنظارات
ونحوها، والمقصود أن النبي ﷺ كان يضرب الأمثال للناس بما كانوا يعرفونه كما
هو كثير في أجوبته وكلامه.

الوجه الثالث: أن إخباره بشربهم لبحيرة طبرية إما أنه إشارة لكثرتهم وأنهم في الكثرة
بهذه المثابة، وإما إشارة وتنبيه على أنهم يشربونها بمعنى أنهم يستخرجون ماءها بأنواع
الآلات لشربهم وشرب مواشيهم وزروعهم وحروثهم، وفي هذه الأوقات كثير من
ماء البحيرة المذكورة يستخرج بالآلات إلى مزارع وحروث، وهم يسعون في زيادة
ذلك، ولعله أن يأتي وقت وقد استكملوا إخراجها أو كادوا.

الوجه الرابع: أن الإخراج والبعث لا يتعين أن يكون ابتداء خروجهم، بل يكون
من أرض إلى أخرى كما قال تعالى: "ثم بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)